

ذكرى المولد النبوي ومؤساتنا التربوية

ما أحوج أمتنا اليوم إلى الوقوف قليلا مع هذه الذكرى لملاحظة ما كنا عليه وما نحن فيه الآن!!

ألم يقل الحق تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفِّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الفتح، آية 29

نعم لقد كان الآباء والأجداد الذين آمنوا بمحمد والتزموا منهجه وأتمروا بأمره وانتهوا بنهيه صلى الله عليه وآله بناء حضارة استغلطت فاستوت على سوقها.

وحينما تعامل الأولون مع النبي (ص) باعتباره الأمر والنهي والقُدوة والقائد وهو أولى بهم من أنفسهم، حينها تمكنوا من بناء صرح يعجب الزراع ويغيظ الأعداء.

ولكن ما أن تراجعنا عن تلك القيم التي أرساها (ص) حتى تراجع دورنا وتقهقر موقعنا فأصبحنا نستجدي ما كنا نجود به بالأمس القريب.

فأين نحن اليوم وأين موقعنا الذي كنا عليه؟

والجواب ببساطة أننا ارتقينا بالقيم التي نزل بها الأمين على قلب محمد (ص) وغرسها (ص) كواقع حي يتحرك في الفرد والمجتمع والدولة والحضارة، وفي كل تفاصيلها.

وحينما تنازلنا عن كل ذلك سلب منا ما كنا فيه.

وهذه الذكرى محطة مهمة للاستذكار والتقييم والعودة من جديد إلى تلك القيم.

التركية والتعليم

بناء الإنسان الصالح المتسلح بالعلم والمعرفة والفاعلية هو الأس والأساس في طريق العودة إلى ما كنا عليه، وأي عمل يتجاوز صناعة الإنسان وصياغة شخصيته طبقا للتعاليم التي جاء بها القرآن الحكيم والنبى الكريم والعترة الطيبة الطاهرة فهو لا يعيدنا إلى الجادة بل يبعدنا عنها إلى ما يتوافق مع الآخرين الذين لا يريدون لأمتنا إلا التمزق والتشردم ويضمرون لأمتنا السوء والشر بل ويعملون على ذلك بكل ما أوتوا من قوة وخبرة.

قال تعالى مبينا الدور الذي قام به الرسول الأعظم (ص) في صياغة الإنسان: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ سورة الجمعة، آية 2

فالتربية والتعليم أو ما يطلّح عليه الآن بالعملية التربوية الشاملة للبعدين هي الأساس في استعادة الدور الذي أضاعناه والمكانة التي فرطنا فيها.

وبالتالي علينا ونحن نستضيف بهذه الذكرى أن نتأكد من سلامة ركائز ثلاث تبتني عليها العملية التربوية:

المنهج

المربي

سلامة التطبيق

لأن حدوث أي خلل في أي من هذه الركائز الثلاث يدمر العملية التربوية من الأساس ويخرجها عن الأهداف المبتغاة وحينها لن تجدي الجهود ولا الأموال التي تبذل من أجلها نفعاً.

وهنا ينبغي أن نؤكد على أن العملية التربوية لا يمكن لها أن تصوغ الإنسان من خلال بث الحقد والكراهية والتشجيع على العداوة والبغضاء وتكفير المخالف كما هو حاصل في بعض مؤسساتنا التربوية.

وهذا يعني ضرورة إبعاد هذا النهج والابتعاد عن المجاملة والمداراة للطائفتين الحاقدين على كل من لا ينصاع لهم في الرأي.

وإذا عجزت مؤسساتنا التربوية من الحد منهم ومعاقبتهم وإلزامهم بالأهداف المبتغاة من العملية التربوية فعلى أولياء أمور الطلاب أن يأمرؤا أبنائهم بمقاطعة كل من يبث الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء وينال من المعتقدات التي نعتقدها وندين بها. a

وعلىنا أن نعي أن العبث بالعملية التربوي لا يبتغي سوى إبقاء هذه الأمة في موقع التبعية والتراجع والتخلف، وهذا ما لا ينبغي السكوت عليه بأي حال من الأحوال.